انتشار المسيحيّة:
من أورشليم حتّى أقاصي الأرض

الأب أيوب شهوان

مقدّمة

تستوقف قارىء كتاب أعمال الرسل خاصّة، وتاريخ بدايات الكنيسة الأولى عامة، سلسلةُ أحداث قد يراها ناظرٌ لا مبالٍ بعينٍ غير بصيرة تُسَطِّحُ الأمورَ، وقد يجد فيها، بالمقابل، علاّمُ الخفايا والأمور، الباحثُ الممحصُ بدقةٍ ما بعدها دقة، مَعينًا لا يُقَدَّر بثمنٍ، لإظهار حقائق تعني له الكثير الكثير. فإذا ما ألقينا نظرة على التسلسل الزمنيّ لأحداث الكنيسة الأولى، لَتَبَيَّنَ لنا تنوّعُها واتساعُها وغناها وأهمّيّتُها، نُدرجُ على سبيل المثال لا الحصر بعضًا منها : العنصرة (سنة ٣٠-٣١)، استشهاد إسطفانوس رجمًا (سنة ٣٦ أو ٣٧)، تبدّد الجماعة (بدءًا من سنة ٣٦ أو ٣٧)، كرازة فيليبس في السامرة (بدءًا من سنة ٣٦ أو ٣٧)، ظهور الربّ لشاول (سنة ٣٦ أو ٣٧)، هرب شاول من دمشق (سنة ٣٩)، زيارة شاول للمرّة الأولى لأعمدة الكنيسة (حوالى سنة ٣٩)، زيارة بولس وبرنابا لأنطاكية (حوالى سنة ٣٤)، استشهاد يعقوب أخي يوحنّا بالسيف على يد أغريبا (سنة ٤٣ أو ٤٤)، رحلات بولس، مجمع أورشليم (سنة ٤٩/٥٠), الخ.

إضافة إلى ما تقدّم، يمكننا الكلام على عناوين مثيرة في يوميّات الكنيسة الأولى، كان لا بد من النظر فيها واتخاذ المواقف والقرارات المناسبة لئلا تتعطل البشارة بسبب أمور طارئة، نورد منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي : ارتباك في التعاطي مع اليهود، فوضى في توزيع الإعانات، معاملة سيئة للأرامل، جدالات حول المفاهيم العقائديّة: الشريعة، الختان، السبت، المأكولات المحرمة، خلافات بين اليهود الهلينيّين المنفتحين، وبين يهود فلسطين المحافظين، خلافات بين جماعتَي يعقوب وبولس، الحركة المعمدانيّة، ملاحقات اليهود للرسل حتّى الاضطهاد: تهديد ووعيد، ملاحقة وطرد، سجن وجلد، إعدامات (اسطفانوس، يعقوب...)، الخ.

بالمقابل، ينبغي ذكر العوامل الإيجابيّة القويّة والداعمة لانتشار المسيحيّة الأولى، نعطي مثالاً على ذلك المعجزات والآيات: شفاء مقعد، حادثة حننيا وسفورة امرأته، الخ.

ومن الضروريّ القول بأنّ تكوّن كتب العهد الجديد وما تضمن ذلك من بلورة للعديد من المفاهيم الكريستولوجيّة والعقائديّة واللاهوتية في رسائل بولس والأناجيل، والرسائل الأخرى، مما ساهم في بلورة صورة يسوع البيبلية واللاهوتية في عملية التبشير باسمه.

فوق ذلك، ينبغي أن نبرز بعض الوجوه الفاعلة في نشر بشرى الخلاص، مثال على ذلك أعمال بعض الرسل، كبطرس، وإسطفانوس، ويعقوب وفيليبس وبولس، وغيرهم، كما أيضًا التفاعلات الثقافيّة والحضاريّة واللغويّة، الخ. بالتأكيد، لن يكون بمقدورنا معالجة كل هذه النقاط في هذه العجالة, لذا سنحاول أن نركّز على النقاط التي ترتبط بموضوع انتشار المسيحيّة في البدايات.

في دراستنا لموضوع انتشار المسيحيّة في بدايا‌تها، لا بد من أخذ معطيات عدة بعين الاعتبار، وذلك من أجل إحاطة أوسع وأدق بما نحن في صدده.

١ – جِدَّة رسالة يسوع والمحافظة على القديم

صعد يسوع بعد قيامته إلى السماء، فافتقد رسلُه وتلاميذُه ومحبّوه حضورَه الفريد بينهم، وقوّةَ شخصيّته التي حلّت، فلمّت وجمعت، من أجل لقاء أعظم ملؤه الحياة. سعى هؤلاء إذًا بعد رحيل المعلّم إلى أن يبقوا أوفياء له، أمناء لتعليمه، حاملين رسالته في قلوبهم وقناعاتهم وضميرهم، وناقلينها إلى الآخرين. ولكنهم في الوقت عينه اهتمّوا في أن يستمرّوا على الأمانة أيضًا ليهوديّتهم[1]، ولموروثهم التقليديّ، ولصلواتهم، خاصّة في الهيكل، ولعاداتهم، وأكثر ما يكون لشريعتهم، ولم يتبدّل الأمر جذريًا، وإن لم يكن عند الجميع، إلا بعد حلول الروح القدس. هناك واقعٌ جديدٌ قد فرض نفسه، ولو بتوءدة وبتدرّج، ألا وهو التعليم الجديد المختلف مضمونًا وشكلاً عن تعليم الكتبة والفريسيّين، الذي افترض بطبيعة الحال تعبيرًا جديدًا، لم يكن مألوفًا في اللغة المتداولة؛ إن في هذا حقيقةً طبيعيةً نتجت عن الاختلاف الذي فرضه شخص يسوع، ورسالته، وأسلوبه، وآراؤه. فالذي تكلّم عليه الأنبياء قبلاً برموز وصور، صار الآن بيننا. إنّه المسيح المنتظر، المُرسَل من الله إلى شعبه وإلى البشريّة جمعاء، وقد قام من بين الأموات من بعدما صلبه اليهود، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الله الآب في المجد.

[1] نستعمل كلمة "يهوديّة" هنا بمعناها، ليس الجغرافيّ، بل كتيار دينيّ وفكريّ واجتماعيّ، وإلى حدٍّ ما سياسيّ.

٢ – يوم العنصرة وُلِدَت الكنيسة

بعد أن صعد الربّ، وكما أوصى تلاميذه، انتظر هؤلاء حلول الروح القدس عليهم، وهذا ما تمّ بالفعل. فاستنادًا إلى الإنجيل بحسب يوحنّا (٢٠:١٩–٢٢)، جرى حدثُ حلول الروح القدس مساءَ أحد القيامة. في الواقع، القيامة، والصعود، والعنصرة أوجه ثلاثة لسرٍّ واحد، هو قيامة يسوع من الموت، التي هي بذات الفعل رجوع إلى الآب، وتتميم للخلاص بإعطاء الروح الموعود.

ففي اليوم الذي كان فيه يحتفل اليهود بعنصرتهم، أي بذكرى إعطاء الشريعة وإبرام العهد على جبل سيناء، وبالتالي قيام شعب الله بفضل الشريعة، والعهد كجماعة (رج أع ٧: ٣٨)، نزل الروح القدس على التلاميذ، فكانت العنصرة المسيحيّة التي حلّت مكان اليهوديّة، والتي تشكل انطلاقة الشريعة الجديدة والعهد الجديد، وبالتالي ولادة شعب جديد، هو الكنيسة. في ما مضى، وحده إسرائيل كان يملك الشريعة، لأنّه كان الشعب المختار، و لم يكن بدّ من الانتماء إلى هذا الشعب للحصول على الخلاص. ومع حلول الروح القدس انتفت الحصريّة، وشملت الشريعة والعهد الجديدَين كلَّ شعوب الأرض. تتمّ هذه الشموليّة بفعل الروح القدس، عندما تبلغ بشارة الانجيل، أقاصي الأرض، وهنا يبرز بوضوح دور الكنيسة الرسوليّ.

إنّ هذا الحدث بالذات، الذي يدرجه لوقا في كتاب أعمال الرسل، هو ما كان يَنشدُه العهد القديم، وهو نقطة انطلاق العهد الجديد. ففي علّية صهيون، وقد كانوا كلّهم مجتمعين معًا بقلب واحد، ورأي واحد، وصلاة مشتركة، حلّ عليهم الروح القدس بألسنة من نار استقرّت على كلّ منهم.

هناك إلى حدٍّ ما تشابه بين حلول الروح القدس في العلّية، وبين ظهور الله على جبل سيناء. ففي العنصرة كان هناك دويّ كصوت البحر (لو ٢١:٢٥) والرعد (سي ٣٦:١٧) والبرق (خر ١٩:١٦؛ عب ١٢:١٩؛ مز ١٥:٣٠). كانت العنصرة اليهوديّة عيدَ إعطاء الشريعة وإقامة العهد بين الله وشعبه. أمّا العنصرة المسيحيّة فهي إعطاء شريعة الروح، وتحقيق العهد الجديد. فاجأ الصوت التلاميذ، وملأ كلَّ أرجاء البيت (أع ٢:٤)، ولا عجب، لأنّ الروح القدس هو وحده يملأ الكلّ، وهو الذي سيعمل في الجماعة الأولى وفي مَن يأتي بعدها. نتيجة فيض الروح كانت أن التلاميذ "بدأوا يتكلّمون بألسن غريبة" (٢: ٤). سيحدث أمر مماثل في عنصرة بيت كورنيليوس؛ فعند ارتداد هذا الأخير، حلّ الروح القدس عليه وعلى كلّ مَن سمع كلام بطرس، حتّى أنّ أهل الختان المواكبين لبطرس دهشوا لما رأوا الروح القدس يحل على الأمم أيضًا، "وكانوا يسمعون الأمم يتكلّمون بألسنة ويعظّمون الله" (أع ١: ٤٤–٤٦).

الروح القدس، العامل الذي لا يُرى، يدفع بالمرسلين إلى تبشير جميع الأمم، اليهود كما السامريّين، والوثنيّين، ويوجّه خطاهم باتجاه الانفتاح على كلّ بشر، كما تقرّر في مجمع الرسل في أورشليم سنة ٤٩/٥٠ (أع ١٥).

يذكّر لوقا في أع ١: ٨ بكلام يسوع للرسل قبيل صعوده: "ستنالون قوّة هي قوّة الروح القدس الذي يحل عليكم، وتكونون لي شهوداً...". انطلقت البشارة على أثر عنصرة اليهود في أورشليم (٢: ١–٤١)، وتواصلت على أثر عنصرة السامريّين (٨: ٥–٢٥) في اليهوديّة والسامرة، وقبول مجموعة من الوثنيّين في الكنيسة. محطات ثلاث تأسيسيّة يُدرجها لوقا ببراعة، فيجعل القارئ يشهد نموّ الإيمان وانطلاقة الكنيسة بزخم.

لقد دفع الروح القدس كنيسة المسيح إلى الخروج من الأفق الضيّق، ومن الانغلاق الجغرافيّ، ومن التقوقع الإتنيّ، لتنطلق إلى حيث يريد روح الربّ.

وولدت الكنيسة، وانتشر أريجها، بعد أن وعى الرسل وأتباع يسوع الآخرون حضور الروح القدس فيهم، الذي كان يسوع قد وعدهم بإرساله، وشهدت الآيات والترائيات على ذلك (أع ١: ٥–٨؛ ٢: ٤؛ ٤: ١٣؛ ٥: ٣٢؛ الخ).

٣ – حياة الجماعة الأولى نَشْرٌ للبشارة

أوّل ما قامت به الجماعة المسيحيّة الأولى، كان تنظيم الصلاة، وكسر الخبز، والتعليم (٥: ٤٢)، والمشاركة في الخيرات (٤: ٣٦–٣٧؛ ٥: ١–٢)، والاهتمام بالمحتاجين وبعمل الاحسان والبر (٦: ١–٢). بالمقابل، انصرف الرسل إلى خدمة الكلمة ، تاركين الأمور الأخرى للتلاميذ والشمامسة وغيرهم.

نجد وصفًا لحياة الجماعة الأولى في المقاطع المعروفة في كتاب أعمال الرسل، التي جرت العادة بأن تُدعى "موجزات"، أو "مختصرات" أو "تصاميم"، وهي: ٢: ٤٢–٤٧؛ ٤: ٣٢–٣٥؛ ٥: ١٢–١٦.

– في الموجز الأوّل، يخبرنا لوقا بأنّهم "كانوا مواظبين على تعليم الرسل وعلى الشركة، على كسر الخبز وعلى الصلوات". إنّ المصطلح اليونانيّ المستعمل للكلام على المواظبة، هو ذات مدلول هامّ، خاصّة وأنّه يُطبّق في العهد الجديد حصريًّا على الصلاة (رو ١٢: ١٢؛ كول ٤: ٢)، ويعادل في الواقع عبارةَ "صلوا ولا تملوا" عند بولس (١ تس ٥: ١٧). من هنا، يبدو أنّ التعليم والصلوات لا تشكّل سوى واحد.

وتوحي العبارة "كسر الخبز"، وهي طريقة تعبير كلاسيكيّة للدلالة على الوليمة الإفخارستيّة (لو ٢٤: ٣٥)، بأنّ هذا الاحتفال الذي خلاله يتمّ التعليم، هو حصرًا الإفخارستيّا. يمثّل التعليم، وكسر الخبز، والصلوات محطات ثلاث من هذا الاجتماع الإفخارستيّ.

أمّا الشركة، وهي موضوع المواظبة الرابع في حياة الكنيسة الأولى، فهي قبل كلّ شيء شركة روحيّة، خاصّة مع المسيح. لكن يجب أن نعيَ أنّه ليس هناك من شركة روحيّة حقيقيّة من دون الشركة الماديّة التي تشكّل التعبير المنظور عنها؛ لذا، يُستعمل ذات المصطلح للكلام على الاعتناء والدعم الماديّ الضروريّين لحياة الجماعة : رو ١٢: ١٣؛ ١٥: ٢٦ (هنا، يعني "جمع التبرعات")؛ فيل ٤: ١٥؛ غل ٦: ٦؛ الخ. في الواقع، من الممكن جدًا أن تكون الليتورجيّا الإفخارستيّة الأولى قد تضمّنت تقاسمَ الخيرات التي يحملها المشاركون إلى الجماعة؛ هذا ما يمكن تبيّنه من ١ كو ١١: ٢١ و٣٣. يمكن "الشركة" إذًا أن تمثّل المرحلة السابقة لكسر الخبز في الليتورجيّا الإفخارستيّة الأولى، أي مرحلة "جمع التبرعات".

تأخذ الجماعة الأولى إذًا أساسها من الاجتماع لتناول وليمة الربّ. لكن لوقا يضيف في هذا السياق تفصيلاً آخر، له أهمّيّته التعبيريّة والفعليّة الكبيرة في نظره، ألا وهو الوصف التالي:

"كان جميع المؤمنين على اتفاق تامّ، وكان لهم كلّ شيء مشتركًا. كانوا يبيعون ممتلكاتهم وكلّ ما كان يخصّهم، ويتقاسمونها بين الجميع، وفق حاجة كلّ واحد". نستنتج أنّ المسألة ليست فقط تقاسمًا ماديًّا، بل تخلٍّ عن التملّك. ولكن يجب أن نضيف فورًا أنّ اللوحة التي يرسمها لوقا تمثّل مثالاً أكثر منه واقعًا : فرواية حننيًّا وسفّورة، في أع ٥: ١ي، تبيّن أنّ الأمور لم تكن على أفضل ما يُرام، على قدر ما قد نستشفّ من لوقا الإنجيليّ الذي يبسّط الأمور ويجمّلها. فهذا الأخير مطبوعٌ بِهَمّ الإجماع، وهو أحد العلامات الملموسة أكثر ما يكون لحلول عالم جديد. على هذا الإجماع إذًا أن يطبع الجماعة الأولى، ولهذا لا يتردد لوقا في تحويل الواقع إذا لزم الأمر، كما نستدلّ على ذلك من التعابير التي تلي، وهي واضحة في هذا المجال، كمثل : "على اتفاق تامّ"، "كلّ يوم"، "بساطة قلب"، "الشعب بكليته"، الخ.

نحن نعلم أن التلاميذ "كانوا يترددون بمواظبة إلى الهيكل"، وتحديدًا "لسماع تعليم الرسل هناك"؛ لكنّ "كسر الخبز" كان يتم في المنزل. إذا كان التعليم وكسر الخبز مترابطين، ينبغي إذًا أن نعتقد أنّ تعليم الرسل الذي كان يُلقى في الهيكل، ليس هو المتعلّق مباشرة بالتلاميذ، والذي كان يجري في المنزل في إطار ليتورجيّ، بل الوعظ الموجّه إلى كل الشعب المجتمع هناك. قد يكون من أجل سماع هذا الوعظ، ولدعمه، كان التلاميذ يصعدون إلى الهيكل، ولكن قد يكون أيضًا للصلاة اليهوديّة التقليديّة على قدر ما كان اليهود الذين كانوا قد أصبحوا مسيحيّين لم يكونوا بعد قد طُردوا كما سيحصل لاحقًا[٢].

يُضيف لوقا : "وكانوا يجدون حظوة لدى كلّ الشعب". العبارة كلاسيكيّة في العهد القديم؛ إنّها علامة البركة الإلهيّة. هنا أيضًا، هي مثال أكثر منها واقع، كما تشهد على ذلك الوقائع التي يجري الكلام عليها، أي توقيف الرسل في ٤:٢-٣.

يلاحظ لوقا أن الجماعة هي، بالنسبة إليه، مكان الخلاص. فيها يوجد من الآن وصاعدًا الذين يخلصون.

– الموجز الثاني، أي ٤:٣٢-٣٧، هو، باستثناء آ ٣٣ التي تبدو خارج إطار هذا النصّ، توسيع حول الشركة في الخيرات (رج ٢:٤٤)، الذي نجد مثالاً له في موقف برنابا، والذي يتوضّح مباشرة بمثال معاكس، هو مثال حننيّا وسفّورة. لا يُقال هنا إنّ التلاميذ كانوا يبيعون كلّ ممتلكاتهم، بل الأراضي والبيوت، أي ما يربطهم رمزيًا بأرض محدّدة؛ يصبحون هكذا من جديد في حالة ترحال على الأرض، كما أجدادهم اليهود قديمًا. لهذا البيع بدون شك قيمة رمزيّة كبيرة، ويشكّل علامة إسكاتولوجيّة، بالتالي، يجب الانفصال عن كلّ شيء يربط بالأرض. إيداع المال عند أقدام الرسل، هو بذات الفعل وضعه إكرامًا عند أقدام المسيح بالذات، هو دخول أرضه هو وتحت ملكه : هناك انتقال سيادة يبدأ.

---

[٢] المقصود هنا هو بدون شك المعضلة الشهيرة للقطيعة بين الكنيسة والمجمع بعد الفرار إلى بيلا (Pella)، والتي نجد شاهداً عليها في الصلاة التي تُدعى البركات الثمانية عشرة القائلة : "لا يكن للكافرين من رجاء وملكوت؛ الصَلَف سريعاً اقتلعه في أيامنا؛ والنصارى والهراطقة فليبيدوا في لحظة، وليُمحوا من كتاب الأحياء، ولا يُكتَبوا مع الأبرار. فلتكن مباركاً، يا رب، الذي يحطّ المتكبرين" (رقم ١٢).

– الموجز الثالث يسيطر عليه موضوع نشاط الرسل العجائبيّ. كان الشفاء ممكنًا فقط بفعل الظل بالذات: "التغطية بالظل" (رج لو ١:١٥)، هي دخول أحد في آخر. يقول كاتب أعمال الرسل : "وحلّ خوف على كلّ نفس، بسبب المعجزات والآيات التي كانت تحصل على يد الرسل". "المعجزات والآيات" هي التجلّي المرئي لمجيء الأزمنة الأخيرة، أزمنة الخلاص. الإطار الفكريّ هو رؤيويّ، والخوف، أو بالأحرى المخافة، هو معطاة جوهريّة في الأناجيل، هو الخوف الذي يمكن أن يحلّ عند افتقاد الله (مت ١٤:٢٦؛ ٤:٢٨؛ لو ١:١٢؛ ٢:٩). نعلم أنّ هذا الافتقاد كان منتظرًا جدًا في بداية القرن الأوّل، كما يشهد على ذلك العديد من الكتابات، ولكنّ هذا الافتقاد كان أيضًا مخافة، هي علامة حضور الله، هي الموضوع هنا، من خلال ما كان يجري على أيدي الرسل.

٤ – آلام المسيحيّين الأوائل بذار الكنيسة

نمت الجماعة المسيحيّة الأولى كحبة الخردل، كما أرادها الله الآب، وغرسها الابن، وتعهّدها الروح القدس، فخبرت الإيمان بكلّ أبعاده، وتفاعلت معه وتكاملت.

تميزت الجماعة المسيحيّة الأولى بسلوك قلّ نظيره، تجسّد ورآه الناظرون في طريقة عقد الاجتماعات، وفي الحياة المشتركة (أع ٢:٤٢-٤٧)، وبساطة العيش، والاتضاع، وعيش المحبة في الخفية، وعبادة الله بمخافة. بالطبع لا ضرر لأحد من المسؤولين اليهود في ذلك، ومع هذا فقد التهبوا غيرة، وأخذوا يصرّون أسنانهم حسدًا، ويتآمرون في عتمات الليالي ليزيدوا كيلَ آبائهم. بالمقابل، ارتضت الجماعةُ المؤمنة أن تشرب عند الضرورة الكأسَ كسيّدها.

عندما كان يسوع يبشّر، قضّت تعاليمه وآراؤه مضاجعَ الطبقات الحاكمة والمتحكمة، من مدنيّة، وكهنوتيّة، ومجتمعيّة، فقاومته، وطاردته، وشوّهت تعليمه، واتهمته، وحاكمته، ونجحت في تعليقه على الصليب كمجرم، ولكنّ عداوتها لكلّ برّ، وتحالفها مع الشر، وتعاهدها مع الموت، كل ذلك لم يفلح في القضاء على يسوع ولا على تعليمه: فالله أقامه من الموت، والروح القدس بعث في الرسل مبعوثيه إلى أقاصي الأرض، القوة والحكمة، فانبعثت على يدهم تعاليم سيدهم خلاصًا وحياة.

هكذا إذًا شنّت الأرستقراطيّة الكهنوتيّة حملة عنيفة على الرسل وعلى أتباع يسوع، ولم تعرف طعم الراحة والهدوء، بسبب أنّ هؤلاء يبشرون بقيامةِ مَن قضت هي عليه بالموت صلبًا، فصاروا أعداءها الجدد. لذا أخذ الكهنة الصدوقيّون خاصة يناهضونهم، ويوجّهون إليهم الإنذار تلو الآخَر، ويقذفونهم التهديد تلو التهديد، ويحاولون أن يرهبوهم بأشد العقوبات (أع ٤:١-٣٢؛ ٥:١٨-٤٠)، إنْ هم واصلوا التبشير بيسوع وبقيامته. لكن هذا الموقف العدائي انقلب على أصحابه، إذ أخذ عدد المؤمنين يزداد يومًا فيومًا، والقطيع الصغير ينمو أمام الله والناس. هكذا إذًا، لم تذهب سدًى جهود الرسل والمؤمنين الأوائل، ولا آلامهم، ولا تضحياتهم التي بلغت حتّى الدم أحيانًا، لا بل اتسعت حلقات المؤمنين بالمسيح يسوع سريعًا (أع ٢:٤١-٤٧؛ ٤:٤؛ ٥:١٤؛ ٦:١-٧).

عرفت كنيسة أورشليم اضطهادًا شديدًا؛ فتشتت الهلينيّون بين أبنائها، ولم يُضطهد الرسل ولا المؤمنون العبرانيّون بادئ الأمر، لأنّهم تقيدوا بتوراة موسى والعادات اليهوديّة الموروثة.

لقد أدرك اليهود أن واقعًا جديدًا يفرض نفسه بسرعة فائقة في وسطهم، ألا وهو ازدياد عدد المؤمنين بيسوع، فإذا بحلمهم بالقضاء على شيعة النصارى بعد الانتهاء من مؤسِّسها، يصطدم بواقع معاكس، فتنبهوا للأمر، ووَعوا أن هذه الأخيرة تنشر إيمانًا مخالفًا لإيمان الآباء والأجداد، لا بل يناقضه تعبيرًا ومسلكًا، وحتّى في الكثير من المضامين. وكان لا بد من الإجراء الحازم، فحلت المضايقات والملاحقات والاضطهادات بالرسل وبالمؤمنين الذين تحملوا وعانوا وقاسوا بصبر وفرح، إذ أُتيح لهم أن يتشبهوا بمعلمهم في آلامه، ووُجدوا أهلاً لذلك.

٥ – مخاض، فولادة في كلّ أين

ظنّ رؤساء اليهود أن الصفحة الجديدة من تاريخ إسرائيل التي افتتحها يسوع، قد انطوت بعد صلبه وبلا رجوع. نعرف جيدًا أنّ تلاميذ المعلّم قد فرّوا هاربين عند قتله، وأنّ عددًا غير قليل منهم قد رجعوا إلى الجليل ليستعيدوا حياتهم العاديّة، كالصيد في بحيرة طبريه مثلاً (لو ٢١:٢-٣). لقد انكفأت حميّتهم (لو ٢٤:١٧-٢١)، وشعر بعضهم أنهم قد خُدِعوا، وبالتالي لن يقبلوا أن يُفْتَح موضوع عودتهم إلى هذه الطريقة من جديد. لكن حدثت أمور غير عاديّة بدّلت مواقفهم، كانت محصورة بالتلاميذ (أع ١٠:٤٠-٤١)، مثل ظهورات يسوع الذي أكّد لهم بذلك أنّه حيّ، آمرًا إياهم بمواصلة عمله. ساهمت هذه الظهورات إلى حدٍّ كبير في ترسيخ الإيمان بيسوع أنّه المسيح، وفي نشاط الرسل لنشر هذا الإيمان. إنّ أقدم إعلان إيمان في هذا السياق حفظه لنا بولس في ١كور ١٥:٣-٧، وهو البرهان الأفضل على ذلك. لقد فهم كلّ الذين حظوا برؤية الرب القائم من الموت هذا الحدث وكأنه أمرٌ منه للانطلاق إلى البشارة بدءًا بإسرائيل.

بقي بعض أتباع يسوع في قرى الجليل حيث كانوا قد التقوا المعلّم، ولكن يبدو أنهم لم يكوّنوا جماعات مميّزة عن تلك المرتبطة بالمجامع. ولا شك في أنهم بقوا على ارتباطٍ كلٌّ بمهنته وبحياته العائليّة، دون أن ينسوا ما كان يسوع قد أنجزه لأجلهم، فشكلوا هكذا أرضًا خصبة لنشاط المبشرين لاحقًا بيسوع، أكثر منه فريقًا متجانسًا قادرًا على إعلان أمور لاهوتيّة أو كريستولوجيّة واضحة.

أما أولئك الذين كانوا في أورشليم، فكان وضعهم مختلفًا. في أع ١–٥ خاصة، لدينا العديد من المعلومات الأكيدة تقريبًا حولهم. النواة الأولى الوارد ذكرها في أع ١٣:١– ١٥كانت مكوّنة من تلاميذ يسوع ومن ذويه الآتين من الجليل، الذين، من أجل تمويل تموقعهم في أورشليم، يبدو أنّهم باعوا أملاكهم وجعلوا ثمنها في خدمة الجماعة، تحت إشراف الاثني عشر.

إذا كان المستمعون الذين تلقوا بشرى الانجيل كلهم من اليهود، فإنهم كانوا بالمقابل على تنوع ثقافيّ كبير. تشهد رواية العنصرة الواردة في أع ٢، أن أورشليم كانت تستقطب، حتى خارج أوقات الحجّ، يهودًا من الشتات البعيد، كانوا يحلّون في المدينة المقدّسة، بهدف الإقامة على مقربة من بيت المقدس. وعندما صاروا مسيحيّين، كان باستطاعتهم أن يلعبوا دورًا ناشطًا في تبشير مواطنيهم الوافدين كحجّاج. لدينا معلومات كافية نوعًا ما حول واحدة من هذه المجموعات اليهوديّة التي من خارج فلسطين، المقيمة في أورشليم، والمهتمة بالتبشير المسيحيّ، ألا وهي التي يدعوها كتاب أعمال الرسل جماعة "الهلّينيّين"، الذين يبدو أنه كانت لهم خيارات عقائديّة مختلفة عن تلك التي للأكثريّة. كان لهذا الفريق سبعة مسؤولين يحملون كلهم جميعًا أسماء يونانيّة، ولكنهم جميعًا يهود، باستثناء واحد مُرتد. هذه الجماعة الجديدة هي، بحسب أع ٣:٦ي، مكلّفة "بخدمة المائدة"، في حين أن الاثني عشر احتفظوا بمهمة التبشير والصلاة. مع هذا، فإن أفراد الجماعة السبعة التي نعلم عنها لاحقًا بعض الشيء، هم قبل كلّ شيء مرسلون، وفي آنٍ معًا مبشرون وصانعوا عجائب (أع ٨:٦؛ ٥:٨–٧). يمكن الاعتقاد أن ترتيب الامور بين الاثني عشر وبين السبعة، الوارد ذكره في أع ٦:٣، غير متطابق مع الواقع. فالسبعة قد وُجدوا في الحقيقة ليلعبوا تجاه الهلينيّين الدور الذي كان يلعبه الاثنا عشر تجاه الجماعة الأولى.

إن جرأة إسطفانوس، وهو الناطق الرسمي الرئيسي باسم الهلينيّين، في الكلام ضدّ الهيكل (أع ١٣:٦–١٤؛ ٤٦:٧–٥٣)، هي على نقيض تامّ مع موقف الاثني عشر الذين كانوا يقودون الجماعة للصلاة في الهيكل. لقد قام إسطفانوس وصحبه بمواجهة سلطات الهيكل، التي رأوا فيها الممثلة لعبادة مزيّفة، الأمر الذي عرّض وبسرعة أمْنَ المسيحيّين الأوائل للخطر. أدّت هذه الحالة إلى اضطرار السبعة للهرب من أورشليم واليهوديّة، للنجاة من سلطان السنهدريم في المدينة المقدّسة. أما الباقون الذين استمروا على مقربة من الرسل، فقد تمكنوا من البقاء هناك.

إن جماعة المؤمنين الأولى في أورشليم، التي تكاثرت بسرعة، بالرغم من تياراتها المتنوّعة، لم تكن قادرة على أن تتمتع طويلاً بالاستقرار الذي تتكلّم عليه بطريقة مثالية فصول كتاب أعمال الرسل الأولى. يبدو أن الأزمة التي أثارها اضطهاد هيرودس أغريبا في الأشهر الأولى من سنة ٤٤ ب. م.، قد عجلت في التطور الذي كان قد ابتدأ، من حيث انتقال الجماعة الأولى إلى حياة كنسيّة أكثر تنظيمًا ووضوحًا. من دون شك، اتخذ هيرودس أغريبا قراره بقتل يعقوب، أخي يوحنّا، وهو أحد الاثني عشر (أع ١:١٢–٢)، بتحريض من الأوساط الكهنوتيّة. وإذ لاقى عمل هيرودس هذا تحبيذَ الرأي العام، أوقف بطرسَ أيضًا قبيل عيد الفصح من سنة ٤٤، وأعدّ العدّة لمحاكمته بعد العيد (أع ٣:١٢–٤). وقبل مثوله أمام المحكمة، الذي كان بإمكانه أن يهدد الكنيسة كلّها، استطاع بطرس النجاة بتدخّل إلهي، كما جاء في أع ٥:١٢–١١. لكن لم يكن أمامه سوى الفرار من الاضطهاد، وهذا ما فعله، موكلاً إلى بعض الإخوة إعلام يعقوب أخي الرب بذلك (أع ١٧:١٢). منذ تلك الساعة، يبدو أنّه قد توقف عن ممارسة سلطته العليا في كنيسة أورشليم، حيث لن يظهر من بعد سوى كرسول لدى الوثنيّين في معرض اجتماع مخصص لمسائل تتعلّق بتبشير غير اليهود (أع ٧:١٥–١١). هكذا تحوّلت مسؤوليّة كنيسة أورشليم إلى يعقوب أخي الربّ، كما يوحي بذلك أع ١٧:١٢، ويوضحه ١٣:١٥–٢١. عند زيارة بولس إلى أورشليم، بعد حوالي عشرة أو اثنتي عشرة سنة، يجري الكلام على يعقوب وكأنّه المسؤول الرئيسيّ عن الكنيسة (أع ١٨:٢١). تبرز أهمّيّة دور يعقوب أيضًا من خلال ذكر بولس له في رسائله. فيعقوب يُذكر من بين أوّل الذين نعموا برؤية الربّ القائم من بين الأموات في ١ كو ٧:١٥. كما أن بولس، ومنذ زيارته الأولى إلى أورشليم، يؤكّد على أنه لم يلتقِ، باستثناء بطرس، سوى يعقوب، الذي يدعوه "أخا الربّ" (غل ١٨:١–١٩).

هكذا أصبح يعقوب وجهًا هامًّا في كنيسة أورشليم، حتّى ولو استمرّ بطرس رأسَها الشرعيّ والرسميّ. وعند زيارة بولس الثانية إلى كنيسة أورشليم، بعد إحدى عشرة سنة (غل ١:٢؛ رج ١٨:١)، كان يعقوب قد أصبح بدون منازع رأس الكنيسة هناك، ويدعمه بطرس ويوحنّا في تبشير اليهود (غل ٩:٢). وبعد مدّة من الزمن، يظهر يعقوب ذا سلطان مرهوب، تمتد سلطته إلى كلّ الجماعات المسيحيّة في الشتات ويفرض ذاته حتّى على بطرس (غل ١١:٢ي)، كما كانت له هيبة كبيرة بين الشعب، إلى حد أنّ رؤساء اليهود كانوا يغارون من شعبيته الكبيرة التي جعلت منه منافسًا لرئيس الكهنة، خاصّة وأن يعقوب قد بقي يهوديًا محافظًا لا غبار عليه، بالرغم من

تبشيره بالمسيح يسوع. ويبدو أنّه كان يتمتّع بروح منفتح، الأمر الذي ساعد على القبول ببعض التسهيلات للمرتدين من الوثنيّة إلى المسيحيّة (أع ١٣:١٥-٢١)، من أجل التشجيع على تبشيرهم (رج غل ٢:١-١٠).

مع هذا، فإنّ التوجّه الذي أعطاه يعقوب لكنيسة أورشليم قد بقي متشددًا، بالرغم من بعض التنازلات في البداية. كانت السلطة في أورشليم تُمَارس بانتباه في حياة الجماعات المسيحيّة في فلسطين وفي الشتات. وقد اجتهد يعقوب ومَن معه في الدفاع عن الوحدة بين الجماعات إذ كانوا يشعرون بأنّها مهدّدة. فلقد أُرسل برنابا إلى أنطاكية ليعمل على تحاشي بعض المخاطر الناجمة عن نجاح تبشير اليونانيّين بالإنجيل (أع ٢٢:١١-٢٤)؛ وتبعه لاحقًا بعض الأنبياء من أورشليم، وقاموا بحركة تعاضد تجاه "الإخوة العائشين في اليهوديّة" (أع ٢٧:١١-٢٩)، ممّا شكّل طريقة جيدة لتقوية روابط كانت ما زالت سريعة العطب بين مسيحيّي المناطق المتباعدة؛ لقد سمح لقاء أورشليم بالوصول إلى اتفاق معقول حول المرتدين الذين من أصل وثنيّ، وتمّ إرسال مبعوثين من الكنيسة الأم، هما يهوذا وسيلا، إلى أنطاكية لإطلاع مؤمنيها على هذا الاتفاق، وتثبيت إيمان الإخوة (أع ١:١٥-٣٣). بعد ذلك، وفي حين كان بطرس في أنطاكية، أوقف "أناس آتون من قِبَلِ يعقوب"، وباستياء كبير من بولس (غل ١٤:٢ي)، الولائم الافخارستية التي كان يتناولها معًا مسيحيّون يهود، ومن بينهم بطرس وبرنابا، ومسيحيّون من أصل وثني (غل ١١:٢-١٣)، مما اضطر بولس أن يجابه خصومه الذين كانوا يسيرون في إثره في كلّ المدن حيث كان يبشر، لكي يذكّروا المرتدّين إلى الايمان بضرورة أن يحافظوا على الشريعة اليهوديّة إذا ما أرادوا البقاء في شركة مع كنيسة أورشليم (غل ١:٦-٩؛ ٣:١؛ ١٧:٤؛ ٧:٥-١٢؛ ١٢:٦-١٣؛ فيل ٢:٣ و١٨-١٩؛ ٢ كو ١:٣؛ ٥:١٢؛ ١:١٢؛ ٤:١١-٥ و١٢-١٥ و١٨-٢٣؛ ١١:١٢).

٦ – المسيحيّة الأولى والتثاقف[٣]

ما تقدّم من الكلام على نشأة المسيحيّة الأولى وعيشها، ومخاضها، وآلامها، هو غير كافٍ لسبر غور عملية انتشار الإيمان الجديد، إذ هناك أمر حتمي من حيث مفاعيله وتأثيراته ودوره في هذا السياق، ألا وهو التثاقف.

يُعبّر التثاقف جيدًا عن أحد عناصر سرّ التجسد العظيم؛ إنّه " تجسد الحياة والرسالة المسيحيتَين في وضع ثقافي معيّن"[٤]. انطلاقًا من هذا التحديد، ماذا نقول عن التقاء الإيمان والثقافات المتنوعة في فلسطين، والشرق الأوسط، وحوض البحر المتوسط، في بدايات المسيحيّة؟ إنّ كتاب أعمال الرسل هو شاهد مميّز لهذا الالتقاء، إذ يبيّن أن معضلة تثاقف الإنجيل والإيمان المسيحيّ الجديد كانت بارزة بقوّة في الكنيسة الأولى التي انتقلت سريعًا من العالم اليهودي الذي رأت فيه النور، إلى عالم كان وثنيًا، وإلى حدّ كبير هيلينيَ الثقافة.

استنادًا إلى كتاب أعمال الرسل، نرى كيف واجهَ الإيمان المسيحيّ كلّ فريق إتنيّ من خلال قيمه الدينيّة والثقافيّة. يمكّننا هذا من القيام بدراسة دقيقة للعلاقة بين الإيمان والثقافة من خلال مراقبة كيفيّة إعلان المسيحيّين الأوائل بشرى الإنجيل لليهود أوّلاً، ومن ثم لليونان الوثنيّين وغيرهم.

١/٦ – الحياة المسيحيّة والديانة اليهوديّة

كان تلاميذ يسوع والمرتدون الأوائل بعد العنصرة كلّهم يهودًا. بالتالي، واجهت الكنيسة بدايةً معضلة العلاقة بين المسيحيّين والثقافة، من حيث إدخال المسيحيّين الأوائل في الديانة اليهوديّة. كما واجه ضمائر المسيحيّين الأوائل سؤالان هما التاليان : هل عليهم، بعد أن صاروا مسيحيّين، أن يستمروا على عيش يهوديتهم بكلّيتها؟ هل يجب فرض اليهوديّة على المرتدّين إلى يسوع المسيح، الذين جاؤوا من الوثنيّة ؟

١/١/٦أ – المسيحيّون اليهود وتقاليدهم الثقافيّة والاجتماعيّة

تتمحور تقاليد اليهودية الثقافية والاجتماعيّة في أع حول أربع أمور ذات مدلول دينيّ بعيد، هي: الهيكل، والمجمع، والختان، والشريعة. يربط لوقا، وبأسلوبه الخاص والمميز، المسيحيّين اليهودَ بهذه الأربعة، لكن دون أن يلقي على كاهل هؤلاء أي أحمال ثقيلة.

---

[٣] "التثاقف" كلمة مستحدثة في العربية، وهي نقلٌ لكلمة "نيولوجيسم"، (néologisme) ، وتعني ابتكار كلمة.

[٤] هذا القول هو للأب أرُوبي في ١٤-٥-١٩٧٨، وكان عندها رئيسًا عامًا على جمعية الآباء اليسوعيّين.

– مواقف إيجابيّة من الشريعة وأتباعها

لا ينتقد لوقا أبدًا اليهود، ولا المسيحيّين اليهود الذين اختتنوا وحفظوا الشريعة. كما أنّه لا يذكر أمثلة حول مسيحيّين يهود انقطعوا عن حفظ الشريعة وعن التقيّد بتقاليد اليهود. على العكس من ذلك، هو يرى أنه طبيعي جدًا أن يواصل المسيحيّون الأوائل، الآتون من اليهوديّة، العيش وفق تقاليدهم الدينيّة والثقافيّة.

لنتفحص الوقائع التي يخبر عنها:

– بعد القيامة والعنصرة، لم يتوقّف المسيحيّون الأوائل في أورشليم عن الذهاب إلى الهيكل للصلاة (أع ٢:٤٦؛ ٣:١؛ ٥:٤٢).

– في رحلاتهما إلى بلاد الشتات، كان بولس وبرنابا يرتادان المجامع (١٣:١٤؛ ١٤:١؛ ١٧:٢).

– يهتم بطرس كثيرًا بأن يعيش وفق العادات التي كان قد تلقاها من اليهوديّة (١٠:١٤).

– إسطفانوس الذي اتّهم بأنّه يحتقر الشريعة (٦:١١ و١٣)، يوبِّخ اليهود متَّهِمِيه على أنهم لا يحفظون الشريعة التي "تلقوها ... على يد الملائكة" (٧:٥٣)، والمتضمّنة "أقوال حياة" (٧:٣٨).

– حننيّا التلميذ الذي أُوكل الربّ إليه مهمة البحث عن بولس بعد ارتداد هذا الأخير، يوصف بأنّه "يحفظ الشريعة بتقوى" (٢٢:١٢).

– عندما عاد بولس من رحلاته الرسوليّة إلى أورشليم، من أجل لقاء الكنيسة هناك، كان أعمدة هذه الأخيرة فخورين بأن يقولوا له : "ترى، أيها الأخ، كم من آلاف اليهود آمنوا، وكلهم مدافعون بغيرة عن الشريعة" (٢١:٢٠).

– بولس بالذات، رسول الأمم، يبدو في مؤلّف لوقا مهتَّمًا في أن يبقى شخصيًا أمينًا لنُظُم اليهود، وحتّى، أحيانًا، مُدقّقًا في ما إذا كان مرتدون آخرون من اليهوديّة يعملون مثله؛ وحتّى تيموتاوس، المولود من أب يونانيّ ولكن من أُمٍّ يهوديّة، وبالتالي كانت الشريعة اليهوديّة تعتبره يهوديًّا (١٦:٣). ولأجل نذر كان قد عمله، من دون شك هو من نوع النذر المذكور في عد ٦:٩–١٨، حلق بولس رأسه في قنخرية (١٨:٨).

– في قيصريّة، شكا بولسَ بعضُ اليهود الذين كانوا قد أتوا من أورشليم بسبب أخطاء "لم يستطيعوا أن يثبتوا واحدًا منها" (٢٥:٧). دافع بولس عن نفسه بشراسة قائلاً : "لم اقترف ذنبًا، لا ضد شريعة اليهود، ولا ضدّ الهيكل، ولا ضدّ القيصر" (٢٥:٨؛ أنظر ٢:١٧؛ ٢٣:١–٥). بذهابه إلى الهيكل للتطهر (٢١:٢٦)، وقد يكون بطلبٍ من يعقوب، يدلّ بولس على أنّه، على نقيض ما جاء في الشكوى المرفوعة ضده، لا يسعى تعليمه إلى دفع يهود الشتات إلى ترك الختان وممارساتهم الأخرى (٢١:١٢).

– مواقف رفضية للتقاليد اليهوديّة

قد يبدو بداية أنّ هناك حالتين في أع لا يُحترم فيهما المبدأ الذي كان المسيحيّون اليهود يسيرون وفقه، ألا وهو المتعلّق بالتقيّد بالتقاليد اليهوديّة، وهما التاليتان:

– الحالة الأولى : ينتقد بعض أعضاء الجماعة المسيحيّة بطرس لدخوله بيت كورنيليوس، ولتناوله الطعام مع هؤلاء القوم غير المختونين (١١:٣؛ أنظر ١٠:٤٨)، هو الذي كان قد أكد قائلاً : "يجب أن تعلموا أنه لا يجوز ليهوديّ أن يخالط غريبًا أو يُدَانيهِ" (١٠:٢٨). يجب أن نلاحظ أنه، بالرغم من وجود شرائع في التوراة تتعلّق بالحيوانات النجسة (أنظر مثلاً، لا ١١)، لا توجد مثيلات لها تصف الوثنيّين بأنّهم أنجاس، وتلزم اليهود بالتالي بالبقاء بعيدين عنهم. في كلّ الأحوال، يبرر بطرس طريقته الجديدة في التصرف تجاه الوثنيّين بقوله إن الله قد أفهمه في رؤيا أنه لا يمكن اعتبار أحد نجسًا (١٠:٢٨–٢٩؛ ١١:٥–٩؛ أنظر ١٠:٣٤–٣٥). بالنتيجة، لا يدخل الوثنيّون مبدئيًّا في تحريمات الشريعة اليهوديّة في موضوع النجاسة.

إنّ المساواة التي تربط جميع الناس ببعضهم البعض، هي في قلب الوحي الذي أعلنه يسوع المسيح (١٠:٣٤–٣٦). نحن نعلم كم أنّ "الشراكة" (٢:٤٢) هامّة بالنسبة إلى الكنيسة الناشئة التي يشهد لها كتاب أعمال الرسل، والتي تجد تعبيرها الأسمى في الشركة الأفخارستيّة ("كسر الخبز"، ٢:٤٢ و٤٦؛ ٢٠:٧ و١١) التي تفترض شركة المائدة. من الواضح أنه، عند اشتراك الوثنيّين في عضويّة الكنيسة، كان على المسيحيّين اليهود أن يجتنبوا مَن تناول طعامًا هو، استنادًا إلى الشريعة، نجسٌ. بتناول الطعام مع المسيحيّين الوثنيّين، كان اليهود يعرّضون ذواتهم لتناول أطعمة محرّمة. كان يُطلب من المرتدين من الوثنية أن يمتنعوا "عن المذبوح للأصنام، وعن الدم، وعن لحوم الحيوانات المخنوقة" (١٥:٢٩). هذه المحرمات كانت تتعلّق على الأرجح وخاصّة، إن لم يكن حصريًا، بالوليمة المشتركة في الجماعة المسيحيّة.

– الحالة الثانية التي تبدو استثناءً بالنسبة إلى ممارسة المسيحيّين اليهود العادية، تتعلق بإسطفانوس. ففي كلامه امتهن وجود الهيكل، وقد يكون هذا العنصر الأساسيّ في خطبته التي أدت إلى حكم السنهدريم عليه، بالاشتراك مع الشيوخ والكتبة. يبيّن موقف إسطفانوس أن يهوديّة ذاك الزمان كانت متنوّعة، وأنّ هذا التنوع قد دخل في المسيحيّين اليهود. كان إسطفانوس واحدًا من "الهلينيّين" (٦:١)، وهم فريق من التلاميذ اليهود الذين ولدوا خارج فلسطين، ويتكلّمون اليونانيّة كلغتهم اليوميّة. كان اليهود الهلينيّون على علاقة أقل بكثير مع الهيكل من يهود فلسطين الذين كانوا يرتادونه بانتظام. كان بعضهم قد تأثر بنقد الهيكل والذبائح، الذي كان شائعًا في العالم الهلّينيّ في تلك الحقبة. من المحتمل أيضًا أن اليهوديّة الهلينيّة كانت على علاقة مع الأسينيّة التي كانت على عداء تجاه الهيكل في تلك المرحلة، كما نتبين ذلك من كتابات قمران. الرأي السلبيّ الذي كان لإسطفانوس حول الهيكل قبل ارتداده، من المحتمل أنّه ازداد قوّة عندما علم بنقد يسوع بالذات للهيكل في أيّامه.

– هناك ثابتة نستخلصها من جولتنا في أع، هي التالية : لم يشعر اليهود المرتدّون، أكانوا من فلسطين أم من الشتات الهلّينيّ، بسبب معتقداتهم المسيحيّة أو بسبب الطقوس الخاصّة بالمسيحيّة، بواجب التوقّف عن العيش وَفق العادات والتقاليد التي كانوا قد تلقّوها من اليهوديّة (الاستثناء الوحيد هو تناول الطعام مع المرتدين الوثنيّين كما يتطلب ذلك الإيمان الجديد). هذا يفسّر السبب الذي لأجله طالما كان الفريق المسيحيّ اليهوديّ مهيمنًا في الكنيسة، واليهود والسلطات الرومانيّة يرون المسيحيّة في سياق غيرها من الحركات (فريسيّين، صدوقيّين، أسينيّين) في وسط اليهوديّة.

١/٦/ب – المسيحيّون الأمّيّون والتقاليد اليهوديّة الثقافيّة والاجتماعيّة

اتخذت الكنيسة منحىً مصيريًا عندما ترك المجمع مسيحيّون هلّينيّون كانوا قد وصلوا أنطاكية، وأخذوا يبشرون اليونانيّين بالإنجيل (١١:٢٠)، وحققوا بجهودهم نجاحًا كبيرًا (١١:٢١). تبع ذلك النجاح أمر مماثل حققه بولس وبرنابا اللذان توجها إلى الوثنيّين، بعدما لاقيا الصعاب بين اليهود (١٣:٤٦–٤٧). طرح دخول الوثنيّين إلى الكنيسة معضلة قسمت هذه الأخيرة لسنوات عدّة : فلكي يصبح إنسانٌ ما مسيحيًّا، هل عليه أن يصبح أوّلاً يهوديًا عبر خضوعه للختان، وقبوله الشريعة اليهوديّة مع كل نظمها الطقسيّة والقضائيّة ؟

إنّ موقف كتاب أع من هذه القضيّة هو ثابت ولا لبس فيه : يجب ألا تُفرض الممارسات والعادات الخاصّة باليهوديّة، على الوثنيّين الذين يعتنقون المسيحيّة. استنادًا إلى أع، لم يخضع أي مرتدّ غير يهوديّ للتقاليد الخاصّة باليهوديّة، أي الختان والشريعة، والعبادة في الهيكل أو في المجمع، باستثناء "خائفي الله" الذين اعتمدوا بعض ممارسات اليهوديّة قبل دخولهم الكنيسة. رأى المسيحيّون اليهود، الذين أرادوا أن يفرضوا الشريعة والختان عليهم (١٥:٥)، مجمع الرسل في أورشليم يرذل طرحهم (١٥:١٠ و١٩ و٢٢ و٢٨). كان قرار المجمع المذكور ذا أهمّيّة كبيرة بالنسبة إلى مستقبل الكنيسة. فبقرارهم أنّ الوثنيّ الذي يريد أن يصبح مسيحيًّا، هو غير ملزم بأن يصبح أوّلاً يهوديًّا، جعلوا الكنيسة تفتح أبوابها، وتصبح مكانًا يمكن أي كان أن يدخل إليه ويعيش فيه بسهولة، مع الحفاظ على ثقافته وعاداته.

وبالرغم من أنّ بولس شخصيًّا قد بقي أمينًا لأصوله ولممارساته اليهوديّة، فقد شدّد على عدم فرض هذه الممارسات على غير اليهود. بعد مجمع أورشليم، لا يذكر أع تحديات لموقف بولس، ولا مجهودات لفرض الشريعة على الوثنيّين. عندما ظهر بولس أمام قادة أورشليم بعد رحلاته الرسوليّة، لم تكن الشكوى المقامة ضدّه أنّه نصح الوثنيّين الذين كانوا قد أصبحوا مسيحيّين بأن يهملوا شريعة موسى أو أن يتركوا أولادهم دون ختان، بل أنّه شجع يهودًا يقيمون بين الوثنيّين على إهمال هذه الأمور (٢١:٢١).

٦/٢ – للخمرة الجيدة زقاق جديد

مثير للاهتمام، ولكنه طبيعي، ما قام به الرسل خدام الكلمة عند انطلاقهم للتبشير بالمسيح يسوع وبرسالته، وعند تحرير بعضهم لاحقًا رسائل وكتابات في هذا الشأن. ففي تعاليمهم، وفي خطابات بطرس بدايةً (٢:٤–٤٠؛ ٣:١٢–٢٦)، نراهم يسعون إلى ابتكار تعابير ومصطلحات جديدة تلائم مضمون الرسالة الخلاصيّة، كما أيضًا شخصيّة المعلّم والفادي الإلهيّ. لذلك استعانوا بمفردات، وعبارات، وصور مستلّة من العهد القديم، ومن بعض الكتابات اليهوديّة الدينيّة، مؤكدين بذلك، على تجذّرهم في تاريخ الخلاص، من جهة، وعلى انطلاقتهم الجديدة التي بالمسيح يسوع، من جهة ثانية. فراحوا يغرفون من نصوص العهد القديم النبوءات والأقوال المتعلّقة بالكلمة موعود الله، كما التشابيه والاستعارات العديدة، والتي لم يدركوا معانيها إلا بعد حلول الروح القدس "في اليوم" الذي شكّل نقطة تحوّل عظيمة، والذي كانت قد تحدثت عنه نصوص من يوئيل (٣:١–٥)، والمزامير (٢:١–٢؛ ١٦:٨–١١؛ ١١٠:١؛ ١١٨:٢٢) وتثنية الاشتراع (١٨:١٥ و١٩)، وأشعيا (٣٥:٧–٨)، الخ.

٣/٦ – تعليم الرسل والجماعة الأولى

ما لم يفهمه الرسل أيّام حياة يسوع على الأرض، لأنّ أذهانهم كانت ثقيلة، صار الآن جليًا، بعد أن قام الربّ من بين الأموات، وأرسل روحه القدوس، وما كان بطرس خاصة قد أعلنه جهارًا من أنّ يسوع هو "المسيح ابن الله الحي"، لم يكن راسخًا بالقدر الكافي، ولا بالقوّة التي صارت له بعد القيامة. بعد هذا الحدث الأخير، راحت جماعة الرسل تعلن يسوع "ربًّا"، وأنه "جالس عن يمين الله"، له كما للآب "القدرة والسلطان، والمجد"، وإليه ترفع الصلاة كما لأبيه (رج أع ٥٩:٧؛ ٢٤:٨)، وعلى اسمه تُمنح المعموديّة (أع ٣٨:٣؛ ١٨:٦)، وتُصنع الآيات (٦:٣–١٦؛ ١٠:٤–١٢، الخ).

٤/٦ – الهلينيّون المسيحيّون وروح التحرّر

تميّز المسيحيّون المتحدّرون من عائلات يهوديّة بروحهم المنفتحة، وبفهمهم لروح الشريعة، وبتحررهم من الحرف الذي يقتل، وبرحابة صدرهم وبتسامحهم، وبتفاعلهم مع الحضارة الهلّينيّة من حيث الثقافة واللغة والفلسفة، الأمر الذي شجعهم على المناداة بتطوير مفاهيم كثيرة في إسرائيل كان قد تجاوزها الزمن. لم يكن هؤلاء اليهود الهلينيّون المسيحيّون يرومون الخروج على اليهوديّة المحافظة، إنّما إطلاق حركة تحرريّة يحقّ لهم أن ينادوا بها في مجتمع مكوَّن من أناس تبعوا يسوع وذاقوا طعم الحرّيّة على حقيقتها. ترسخت هذه الحضارة، وازداد حضورها، وبانت فعاليتها، وصارت تجمعًا مميزًا يرئسه التلاميذ السبعة (١:٦–٧). من بين هؤلاء برز إسطفانوس الذي تميّز بقوّة الإيمان، وبروح الحكمة، وبالجرأة في قول الحقّ، وبالتقوى وخوف الله. أخذ هذا الأخير يجادل اليهود ويباحثهم في شأن يسوع، فلم يطيقوا أقواله، الأمر الذي أدّى إلى توقيفه واتهامه ومحاكمته أمام مجلسهم القضائيّ الأعلى. كمعلّمه اتهم بأنه تكلّم ضدّ الهيكل، فعلا صراخهم، وسدّوا آذانهم، وانقضّوا معًا عليه، فجرّوه إلى خارج المدينة، وطفقوا يرجمونه. وكان شاول في مَن وافقوا على قتله (أع ٥٧:٧–٦٠). لقد قاست كنيسةُ أورشليم في تلك الأيّام الاضطهادَ الشديد، إلى حدّ أن الهلينيّين المسيحيّين تبدّدوا، على عكس الرسل والمسيحيّين اليهود الذين كانوا ما زالوا يتقيّدون بتوراة موسى وتقاليد اليهود والآباء.

إلا أنّ الشدّة لم تقضِ على العزم عند هؤلاء، لا بل شكّلت دافعًا حاسمًا للانتشار المسيحيّ خارج اليهوديّة، فالسامرة، وصولاً إلى شاطىء فينيقيا، وأنطاكية وقبرص. وفي كلّ مكان التجأوا إليه، بشّروا بالمسيح يسوع (١٩:١١)، وأسّسوا جماعة ستكون نواة لولاد جماعات أخرى.

٥/٦ – استنتاج

انطلاقًا من ممارسة الكنيسة الأولى، التي يصفها أع، يمكننا أن نستخلص بعض الأمور المتعلقة بتثاقف الإيمان المسيحيّ.

– يتم دائمًا التعبير عن الإيمان المسيحيّ بثقافة ما، ولكنه لا يرتبط بأية ثقافة ارتباطًا لا ينحل، ولا حتّى بتلك اليهوديّة التي ولدت فيها. بإمكان الإيمان المسيحيّ إذًا أن يتجسّد في كلّ الثقافات.

– صحيح أنّ الإيمان يدخل الثقافة، وصحيح أيضًا أن الثقافة تدخل الإيمان. النتيجة هي أنّ كلّ ثقافة تسلط ضوءًا على وجوه جديدة من سر الله والمسيح، لكي يتمكّن مجمل غناها من أن يُبسط تدريجيًّا. هكذا يفقه المسيحيّون اليهود في أنطاكية بسيّدية مثلاً الإنجيل ويعيشونه بطريقة مختلفة عن المرتدين اليونانيّين في أثينا، وعن الأوروبيّين، وعن الآسيويّين...

٧ – حدث كورنيليوس يفتح الباب أمام الوثنيّين

يخبر كتاب أع عن وجود مواقف متشددة ضدّ قبول المسيحيّين الآتين من العالم الوثنيّ. ويشكّل موقف بطرس في بيت كورنيليوس في يافا حدثًا هامًّا من حيث الانفتاح على الوثنيّين بدافع من الروح القدس، حيث قال : "تعلمون أنّه قد حُرم على اليهوديّ أن يخالط أجنبيًا، أو يدخل منزله. بيد أن الله بيّن لي أنّه لا ينبغي أن ادعو أحدًا من الناس نجسًا أو دنسًا" (أع ٢٨:١٠).

لقد شكّل مجيء بطرس إلى بيت كورنيليوس قرارًا صريحًا بالتخلي عن الامتيازات التي كان اليهود يتمسكون بها بحزم، والانفتاح على العالم غير اليهوديّ. وهذا ما نتأكده من القول : "ما طهره الله، لا تنجّسه أنت" (١٦:١٠). هكذا أدخل بطرس إلى جماعة المؤمنين رجلاً يخاف الله، غريبًا عن اليهوديّة ونجسًا من جهة الشريعة، ولكنه قريب منها من حيث العقيدة. هو يخاف الله، ولكنه يبقى في نظر اليهود وثنيًا. قصّة بطرس وكورنيليوس هامّة في نظر لوقا، إذ تشكّل خطوة حاسمة باتجاه غير اليهود؛ إنّها خطوة عظيمة قام بها بطرس مدفوعًا بالروح القدس، مؤكدًا أن الله "أنعم على الوثنيّين أيضًا بالتوبة إلى الحياة (٨:١١). الاستنتاج من هذا الحدث واضح، وهو أنّه لا

حاجة لأن يصير غير اليهود يهودًا بالختان كي ينتقلوا بعد ذلك إلى المسيحيّة، والوقائع تبيّن أنّه، على أثر هذا الحدث، أخذت الكنيسة منحىً جديدًا من حيث وعيها لرسالتها وامتدادها. إن الروح القدس الذي حل على كورنيليوس وعلى أهل بيته (١٠:٤٤)، قد أفهم بطرس وباقي الرسل أن الخلاص للجميع. سيثبت مجمع أورشليم (أع ١٥) هذا الواقع الجديد الذي هو نتيجة رؤيا بطرس وعنصرة قيصرية في بيت كورنيليوس. لقد أدخل بطرس إلى الجماعة المؤمنة رجلاً يتّقي الله ويخافه من حيث عقيدته، لكنه غريب عن اليهوديّة ونجس من حيث الشريعة، وبالتالي اعتبره اليهود وثنيًا (١٠:٢). هذه الخطوة البطرسيّة كانت حاسمة بالنسبة إلى الوثنيّة، إذ اعتبر رأس الرسل "الله أنعم إذن على الوثنيّين أيضًا بالتوبة إلى الحياة" (١١:٨)، فشملهم الخلاص دون أن يصيروا يهودًا بالختان. عماد كورنيليوس هو عماد أوّل الوثنيّين، وحلول الروح القدس عليه وعلى أهل بيته (١٠:٤٤). لكن موقف الكنيسة الأولى من الموضوع لن يبلغ ذروته إلا لاحقًا في مجمع أورشليم (أع ١٥).

فموقف المسيحيّين الذين من أصل يهودي، من إخوتهم الذين من أصل وثنيّ، لم يكن بالفعل أخويًا، حتّى ولو لم يكن ذلك عن سوء نيّة أو عن رفض لهم بالمطلق، بل عن قناعة موروثة يطغى عليها التشدد. فقبول الإيمان بالمسيح يفرض على الوثنيّين بالتالي أن يصبحوا يهودًا أوّلاً، وبعد ذلك ينضمون تحت راية الايمان الجديد، وهذا يعني أنه كان عليهم أن يُختتنوا، ويحفظوا شريعة موسى، ممّا يعني عدم الاختلاط في المأكل، والزواج، والحياة الاجتماعيّة مع الوثنيّين، كون هؤلاء أنجاسًا في نظر اليهود. وقد عبّر عن ذلك يعقوب الرسول أثناء انعقاد مجمع أورشليم سنة ٤٩/٥٠، حيث يوصي كَمَن له سلطان : "على الوثنيّين المهتدين أن يتجنبوا رجس ذبائح الاصنام والزنى والميتة والدم" (١٥:٢٠ و٢٩).

٨ – جغرافيّة انتشار الكنيسة الأولى

يذكر لوقا باهتمام ودقة المحطات الجغرافيّة التي فيها نشأت الكنيسة الأولى ومنها انطلقت. فبدءًا من أع ٨:١ نتبيّن الطرق التي تسلكها البشرى الخلاصيّة، وهي : أورشليم، اليهوديّة، السامرة، وحتّى أقاصي الأرض. لقد لعب قتل إسطفانوس دورًا حاسمًا في توجه الرسل والمسيحيّين الأوّلين نحو البعيد، فتركوا إطارهم اليهوديّ المحصور في مناطق محدودة، هي أورشليم وجوارها، وتحرروا بالتالي من ضغوطات لا وصف لها، ومن "أعمال ثقيلة" كانت تكبل العمل الرسوليّ إلى حد كبير.

إنّ ما يبدو تبددًا، بعد استشهاد اسطفانوس، هو في الواقع انطلاق، وبإرشاد الروح القدس. فالتشتت الوارد ذكره ثلاث مرّات (٨:١ و٤؛ ١١:١٩) يتحوّل إلى نشاط تبشيريّ في "مناطق اليهوديّة والسامرة" (٨:١)، وتَنَقّل "من مكان إلى آخر للتبشير بكلام الله" (٨:٤) : لقد "انتقلوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية" (١١:١٩)، أي الشمال الوثنيّ القريب، والشمال اليهوديّ الوثنيّ الأبعد، والغرب البحريّ، ليجمعوا كلّ الناس ويهدوهم إلى الحقّ.

وعندما سيبدأ بولس عمله الرسوليّ لاحقًا، ستكون هناك رحلات تبشيريّة إلى قبرص، وآسيا الصغرى، فأوروبا، وخاصّة روما. ستشمل البشارة أقاصي الأرض، أي روما، وعندها يختم لوقا كتابه أعمال الرسل.

حَظي العامل الجغرافيّ باهتمام كبير لدى لوقا، إلى حدّ أنّه شكّل عاملاً هامًّا في ترتيب مواد سفر أعمال الرسل، وبطريقة متوازية مع إنجيله. ففي حين يبدأ يسوع رسالته في الجليل، ثم يصعد إلى أورشليم، فالهيكل، وينتهي به الأمر أن يُوقَف ويُحكَم عليه ويُصلَب، نرى الرسل، وبشكل موازٍ، يبدأون رسالتهم في أورشليم واليهوديّة والسامرة أوّلاً، ثم ينطلقون إلى خارج أرض فلسطين. إنّ صعود يسوع إلى أورشليم (أع ١٩:٥١)، وصعود بولس إليها (أع ٢١:١٥)، يؤديان إلى ذات المصير. وكما تبلغ البشارة جميع الشعوب في نهاية إنجيل لوقا (٢٤:٤٧)، كذلك هو الأمر في نهاية أع (٢٨:٢٨).

كلّ هذه المعطيات الجغرافيّة التي أوردناها، انطلاقًا من كتاب أع، تبيّن أماكن انتشار المسيحيّة في بداياتها، خاصّة في أورشليم (أ' ١:١٥–٨:٣)، والسامرة، ويافا، وقيصريّة (٨:٥–١١:١٨)، وأنطاكية (١١:١٩–١٥:٣٥)، ومحيط بحر إيجه، وآسيا الصغرى، واليونان (١٥:٣٦–١٩:٢١)، وروما (١٩:٢١–٢١:٣١–٢٨). وإذا شئنا النظر إلى الموضوع الجغرافي في نظرة شموليّة، قلنا إن الأمبراطوريّة الرومانيّة المترامية الأطراف هي مسرح انتشار المسيحيّة الأولى[٥].

---

[٥] أنظر أع ٩ الذي يمكن أن نستنتج منه تبشير بولس في دمشق وبلاد العرب. أنظر في هذا السياق **مجلة بيبليا**، ١٣ (٢٠٠٢)، التي بعنوان : "هل كان بولس أول المبشرين في بلاد العرب؟". أنظر في المرجع عينه : الأب أيوب شهوان، "البلاد العربية في غل ١:١٨ و"٤:٢٥"، ص ٣–٧.

٩ – لانتشار المسيحيّة فَعَلَتها وكرّاموها

١/٩ – المبشِّرون من أصل يهودي

أوكل يسوع حمل البشرى الخلاصيّة إلى رسله وإلى التلاميذ الذين تعرّفنا إليهم الأناجيل، ثم أعمال الرسل، وأخيرًا الرسائل، لكن كلّ المعلومات التي يمكننا أن نكوّنها عنهم تبقى دون ما يشتهي القارئ، إذ هدف محرّري العهد الجديد ليس الأشخاص بقدر ما هو الرسالة الموكلة اليهم.

فإذا ما عدنا إلى أ ع، نجد جماعة الرسل كلّها ملتئمة في يوم العنصرة، ولكن يبرز بطرس بشكل واضح في أ ع ١–١٢، ويليه بولس في ١٣–٢٨، دون أن يكون هذا التقسيم دقيقًا يحتل فيه كلّ من الرسولين جزءًا خاصًّا به. لا بد هنا من تبيان التوازي في الأقوال بين الرسولين، ويكفي لذلك إدراج ما تفوّه به وقام به كلاهما.

كذلك هو الأمر بالنسبة إلى بطرس ويوحنّا (٣:١–٣١:٤)، وبرنابا (٣٧:٤)، والرسل (١٧:٥–٤٢)؛ فلقد أُدخل هؤلاء إلى السجن، لكن ملاك الربّ أخرجهم من هناك؛ وُجّه إليهم التهديد والوعيد، لكنهم واصلوا شهادتهم. تعرّضوا للجلد، لكنهم "خرجوا فرحين لأنهم وُجدوا أهلاً لقبول الإهانة من أجل اسم يسوع".

ولا بدّ من التذكير بأنّ المرسلين كانوا ينطلقون للبشارة اثنين اثنين، كما أوصاهم يسوع (لو ١:١٠): بولس وبرنابا، بولس وسيلا، مرقس وبرنابا، الخ.

٢/٩ – المبشِّرون من أصل هلّيني: السبعة (١:٦–٦)

يرمز العدد سبعة إلى الكمال، وهو أيضًا عدد الأمم السبعين (١٠:٧). في أ ع ٦ نشهد تعيّين سبعة شمامسة، ومن بينهم إسطفانوس الشهيد (٨:٦–٨:٨). هم هلينيّون، أي يهود ينطقون باليونانيّة، عادوا من الشتات وحلّوا في المدينة المقدّسة. تميّزوا بروح الانفتاح، على عكس اليهود، وذلك لاختلاطهم بعدّة شعوب وثقافات؛ كانوا يحملون أسماء يونانيّة، ويعيشون كجماعة لها مسؤولوها وتنظيمها. تساءل هؤلاء حول انغلاق الكنيسة كما حول انفتاحها، عندما رأوا أن إخوة لهم في الإيمان بيسوع وهم من أصل يهوديّ، ينظرون إليهم نظرة رفضيّة. لذلك كانوا هم أوّل مَن بادر إلى الانفتاح على غير اليهود (١:٨–٢) في اليهوديّة والسامرة. هذا الانفتاح قابله انفتاح الكنيسة عليهم وعلى غير اليهود، وإفساح المجال أمامهم لتكوين جماعة تخدم اليهود اللآتين من الشتات. وعلى سبيل المثال، يذكر أ ع ٨: ٥–٤٠ أن فيليبس (٥:٨–٤٠)، وهو أحد الشمامسة السبعة، دخل السامرة وبشّر أهلها، فآمنوا وقبلوا البشارة. وهو الذي بشّر الخصيّ الحبشي (٣٨:٨) أيضًا.

يحتلّ توجّه المرسلين نحو الوثنيّين موقعًا أساسيًا في كتاب أ ع، بدءًا بقصّة بطرس وكورنيليوس الوثنيّ في قيصريّة البحريّة (أ ع ١٠)، وانتهاء ببولس في روما، حيث نشهد بوضوح، وكما يقول أ ع ٢٨:٢٨، "أن خلاص الله هذا قد أُرسل إلى الوثنيّين"، وأن ملكوت الله امتدّ إلى "أقاصي الأرض".

وجّه لوقا ذا الأصل الوثنيّ كتاب أ ع إلى العالم الوثنيّ، بعدما جعل نهاية إنجيله، كبدايته، في أورشليم.

خاتمة :

– تطور انتشار المسيحيّة الأولى بالإيجاز :

– الجماعة الأولى بدات في أورشليم مع الذين آمنوا من اليهود.

– إلى جانب الفئة اليهوديّة التي آمنت، كانت هناك جماعة يهوديّة هلينيّة، لها خدامها السبعة.

– مع الفريقين المذكورين انطلقت البشارة آخذة طابعًا شموليًّا "مسكونيًا".

– أمّا يهود الشتات الذين انفتحوا على البشارة، فكان شاول المرتدّ إلى الايمان صورة عنهم وتجسيدًا لهم.

– بلوغ البشارة إلى الوثنيّين، لم يتمّ فقط على يد بولس الذين لم يكن أوّل المنطلقين إليهم.

– ملفت للنظر جدًا أن يكون بطرس بالذات، رأس الرسل، قد بدأ التبشير في بيت كورنيليوس الوثني (١:١٠–١٨:١١).

– قتل يعقوب (٢:١٢)، وموت هيرودس (٢٣:٢٠)، وإفلات بطرس من السجن (١١:٢)، أحداث تواكب إنطلاقة البشارة.

كلّ هذه العوامل واكبت الانفتاح الذي تحقّق تجاه الهلّينيّين، فكوّن هؤلاء جماعة تُعنى باليهود الآتين من الشتات وتؤدي لهم الخدمة الضروريّة. يبدو عمل الروح القدس هكذا جليًا، أدّى إلى انعتاق الجماعة الأولى من إطارها الجغرافيّ والعرقيّ واللاهوتيّ الضيق.

– المحبة العظيمة تنمي الكنيسة

تميزت الجماعة المسيحيّة الأولى بسلوك قلّ نظيره، تجسّد ورآه الناظرون في طريقة عقد الاجتماعات، وفي الحياة المشتركة (أع ٢:٤٢–٤٧)، وبساطة العيش، والاتضاع، وعيش المحبة في الخفية، وعبادة الله بمخافة. فأخذ عدد المؤمنين يزداد يومًا فيومًا (أع ٢:٤١–٤٧؛ ٤:٤؛ ٥:١٤؛ ٦:١–٧)، والقطيع الصغير ينمو أمام الله والناس. هكذا إذًا، لم تذهب سدًى جهود الرسل والمؤمنين الأوائل، ولا آلامهم، ولا تضحياتهم التي بلغت حتّى الدم أحيانًا، لا بل اتسعت حلقات المؤمنين بالمسيح يسوع سريعًا (أع ٢:٤١–٤٧؛ ٤:٤؛ ٥:١٤؛ ٦:١–٧).

– أسئلة تقض المضجع :

لا بدّ في النهاية من استخلاص بعض المبادئ الموجّهة لتجسيد روحيّ ولاهوتيّ وثقافيّ واجتماعيّ للإنجيل مُستلهمة من نشاط الكنيسة الأولى التبشيري. من هنا الأسئلة الضميرية والعملانية التي تُطرَح بديهيًّا، وهي التالية :

– لماذا انقبضت الكنيسة في منطقتنا، بعد أن كانت قد شملت كلّ الشرق الأوسط، وآسيا الصغرى وأبعد منهما ؟

– ما الذي ناهض انتشار الإيمان بالمسيح، فأرداه، ولو لم يكن بالتمام؟

– ألا ينبغي أن تشكّل الطريقة التي بها أجاب المسيحيّون الأوائل على مسألة التثاقف إلهامًا ونموذجًا في بحثنا عن طرق لنشر الإنجيل في إطار وقائعنا الثقافيّة والاجتماعيّة المختلفة ؟

– أنعجز، ومحبّة الله الآب معنا، وجسد يسوع ودمه في أحشائنا، وقوّة الروح تعصف فينا، عن استنهاض الهمم، واستعادة الزخم، وارتضاء مشيئة مَن زرعنا في هذه المنطقة من العالم، مهما بلغ بنا الجهاد ؟

– من هنا وحتّى أقاصي الشرق!

إنّ محبّة المسيح تستحثنا على المبادرة لأن نستيقظ من غفوتنا، والانطلاق للعمل في كرم الربّ، ونشر ملكوته، من هنا وحتّى أقاصي شرقنا الذي بهتت أنواره، وقبع قرونًا مديدة في غياهب الظلمة! سيطلّ النور من جديد، وتشرق شمس الآب السماويّ في سمائنا التي سطع فيها نجم المشرق، وتلألأت فيها أنوار القيامة. ولأنّ المسيح قد قام، فإن الكنيسة أيضًا قادرة على أن تخلع الثوب العتيق، وتلبس الجديد، وتقوم بهية